Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يمكننا أن نحدّد بنية ديوان يتجاهل أبنية وحداته فى مستوياتها وتعالقاتها العديدة، كما لا يمكننا أن نقفز على أشلاء الموضوعات، متوهّمين أنّها ركام يحتاج لنا كى نعيد ترتيبه، إذ إنَّ ما يقوله هذا النظام النثرى سختلف جوهرياً عمّا قالته أنساق الشعر فى نظمها الحقيقية. ومن ثمّ فإنَّ الحدّ الأدنى للمقاربة النصيّة ينبغى أن يتكئ على القصيدة ويشير إليها، حتّى إذا جرؤ على اجترائها بدعوى أنّها تظلّ هناك متمتعة بوجودها التامّ فى الديوان فإنَّ مفارقة الحضور والغياب تظلّ هى الحاسمة فى لعبة التحليل؛ إذ أنّها تحدّد مسافة التطابق بين القصد والفهم وما يقوم بينهما من فضاء نصّى هو الذى يشير إلى الحدود التى تفصل النصّ عن فهمنا لواقعه ولواقع الحياة التى أنتجته كما قال لنا "هولدرلين".

غريب على الخليج :

وسنقف عفوياً عند أوّل قصيدة تستهلّ مجموعة "أنشودة المطر" التى تعدّ بداية المرحلة الشعريّة النّاضجة لدى السيّاب، بعد أن تحظى عتبة ما يوصف دائماً بأنّه محاولاته الرّومانسيّة فى شعر البواكير وأزهاره وأساطيره وأعاصيره، إذا اكتملت حينئذ ملامح أسلوبه الشعرى وبرزت خاصائصه . إنّها قصيدة "غريب على الخليج" التى أصبحت من الشجن، بأثر رجعى الآن، إذ كان قد كتبها خلال رحلته الأولى الهاربة إلى الكويت عام ١٩٥٣، دون أن يعرف أنّه سيعود لتتكرّس غربته فيها ويموت على أرضها بعد ذلك.

ونلاحظ مبدئيّاً أنَّ الخيط السردى المباشر للوقائع الحسيّة هو الذى يشكّل قوام النصّ، لكنّه لا يلبث أن يصبح مجرّد منطلق لاستنكاه الدواخل التى تفعل فعلها فى تمثيل الرؤية الشعريّة وتوجيه حركتها الشعورية :

الرّيح تلهث بالهجيرة، كالجثام، على الأصيل
وعلى القلوع تظلّ تطوى أو تنشّر للرحيل
زحم الخليج بهنّ مكتدحون جوّابو بحارِ
من كّل حافٍ، نصف عارى.
وعلى الرّمال، على الخليج